Dirassat & Abhath
The Arabic Journal of Human and Social Sciences

مجلة دراسات وأبحاث
المجلة العربية في العلوم الإنسانية والاجتماعية

EISSN: 2253-0363
ISSN : 1112-9751

تجربة الإصلاح عند أبي بكر الطرطوشي (ت 526هـ/1130م) من خلال مؤلفاته

The experience of reform at Abu Bakr al-Tartoushi,(526 AH / 1130 Ac) through his writings

د. عبد القادر ربوح Dr. Rabouh Abdelkader
جامعة الجلفة – الجزائر-
Department of Humanities – University of Djelfa - Algeria
Dr.rabouhkader@gmail.com

تاريخ الاستلام : 2018-07-18 تاريخ القبول : 2018-09-29

ملخص:

يعالج المقال موضوع الإصلاح في ظل الوضع العام المتردي الذي شهده الغرب الإسلامي، فقد نشأت في القرن الخامس للهجرة تجربة إصلاحية فريدة على يد عصبة من الفقهاء والعلماء والمفكرين ، الذين أسهموا فكريا وسياسيا في إحياء رسوم الشريعة ، و ذلك من خلال التأريخ للنهضة العلمية و الفكرية نهاية ملوك الطوائف و بداية العصر المرابطي.

كما يبحث شخصية أبو بكر الطرطوشي هذا المفكر الأندلسي الذي ظهر في مجتمع جمع بين الترف المادي و العلم، وقد اتخذ من أوضاع وطنه و عصره وأحداثه السياسية مادة خصبة لفكره ونظرياته السياسية والاجتماعية.

لذلك يحاول المقال تبيين نظرة هذا المفكر الفقيه و السياسي إلى الإصلاح من خلال كتاباته فكان عنوان البحث هو : " تجربة الإصلاح عند أبي بكر الطرطوشي ت 526هـ /1130 م من خلال مؤلفاته".

الكلمات المفتاحية :

المفكر؛ أبي بكر الطرطوشي ؛ الإصلاح ؛ المؤلفات

ABSTRACT:

This article attempts to monitor the issue of reform in light of the deteriorating situation in the Islamic West. A unique reform experiment was created in the fifth century by a group of jurists, scholars and thinkers who contributed intellectually and politically to the revival of Shari'a fees through the history of intellectual and intellectual renaissance The end of the kings of the sects and the beginning of the Almoravid era.

The personality of Abu Bakr Tartoushi is also looking at this Andalusian thinker, who appeared in a society that combines material luxury with science. He took from the conditions of his country, his time and political events fertile material for his thought and political and social theories. Therefore, I thought that I would like to show the opinion of this jurist and political thinker on reform through his writings. The title of the research is: "The experience of reform in Abu Bakr al-Tartoushi, 526 AH / 1130 AD through his writings.

"Keyword

Abu Bakr al-Tartoushi; the reform; the Conspiracyies

تتجلى أهمية البحث في انه وحسب اطلاع الباحث أنها من أولى الجهود العلمية التي تركز الإصلاح، فقد كانت هناك جهود علمية في بلاد الغرب الإسلامي ركزت على مسألة الإصلاح بنوعيه الاجتماعي و السياسي ، كما هو الحال بالنسبة لكتاب المفكر أبي بكر الطرطوشي التي ركز فيها على مراعاة أحوال الرعية ، و التقيد بالخصال الحميدة من طرف السلطان ، أو تلك الدراسات التي تمت الإشارة إلى بعضها في سياق البحث ، لهذا جاءت هذه الدراسة المتواضعة.

كذا الوقوف على طبيعة الكتابة السياسية، وخاصة في القرنيين الرابع والخامس الهجريين، اللذين بلغ فيهما التأليف في السياسة الشرعية ذروته، ينبغي على الباحث أن يتجاوز جانب الاهتمام بتتبع الدقائق الفقهية والتفريعات الجزئية والاختلافات المذهبية، وكل ما لا يساعد على الوقوف الحقيقي على المرامي البعيدة لتلك الكتابات ولمقاصدها الخفية...إلى اعتبار مثل تلك الكتابات مشاريع سياسية ذات دلالات سياسية وأبعاد تنظيرية، وذلك انطلاقا من التفصيلات الفقهية والتشريعات القانونية العملية. لا بد إذن، من الانتباه إلى دلالة المشروع السياسي و الاجتماعي الذي كان يبتغيه الطرطوشي عند تأليفه لكتابه "سراج الملوك"، وإلى الأهداف التي كان يرمي إصابتها بذلك المشروع، وإن كان هذا العمل لا يتأتى لنا إلا بمحاولة ربط هذا الإنتاج النظري بمجموعة من العناصر الفاعلة، وبالأخص الوجود المجتمعي الذي ساهم في بلورته، والفضاء الفكري الذي كان المفكر المالكي يتقلب فيه.

ثانيا- مشكلة البحث: إن الاختلاف الحاصل بين وجهات نظر كثير من المنظرين الفقهاء وتشعب مناحيهم، وبالأخص مع توالي الأحداث التاريخية وتشابكها، وبروز تشكلات سياسية معقدة، وبداية الانحراف شيئا فشيئا عن المرجعية المعيارية للممارسة السياسية المعتبرة شرعية.

من خلال هذه الدراسة المتواضعة كان التساؤل المطروح هو: ما هي معالجات أبو بكر الطرطوشي لمفهوم الإصلاح من خلال مؤلفاته ؟ وما أثر ذلك على بنية المجتمع الأندلسي عصر ملوك الطوائف ؟

فكيف تناول الطرطوشي هذه المشكلة، و ما سبل العلاج عنده؟ وما هي العوامل التي كانت تتحكم في تنظيره الفكري و رؤاها الاجتهادية؟

ثالثا- فرضية البحث: ينطلق البحث من فرضية مفادها : الإصلاح من منظور علماء و مفكري الغرب الإسلامي ، ولعل واحد من صورها ونماذجها المفكر أبو بكر الطرطوشي ت .526هـ/1130م

رابعا- منهجية البحث: اعتمد في البحث على منهجين علميين : الأول هو منهج تحليل المضمون من خلال نصوص من كتابات الطرطوشي ، والآخر المنهج التاريخي عند تتبع أحوال الغرب الإسلامي، وجهود علمائه الذين ساروا على نهج الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) ، وكتاب الله العزيز ، مراعين أحوال عصرهم الاجتماعية و السياسية منها.

خامسا- خطة البحث: تم تقسيم البحث إلى مقدمة ومبحثين وخاتمة ، وقد انشغل المبحث الأول في التعريف بأبي بكر الطرطوشي (بيئته ، حياته ، وفاته)، و عالج المبحث الثاني مفهوم الإصلاح و عوامله التي صاغت فكر الطرطوشي الإصلاحي، ، ثم ذُيِّل البحث بخاتمة توصلنا فيها إلى مجموعة من الاستنتاجات ، وذلك باستنطاق مضامين الدراسة.

سادسا -الدراسات السابقة :

من بين الدراسات التي تناولت موضوع الإصلاح عند علماء الغرب الإسلامي ، نجد دراسة صلاح الجرار الذي ركز فيها على جهود أبي بكر الطرطوشي في الإصلاح الاجتماعي من خلال سلوكه و سيرته ، ومن خلال إبراز مؤلفاته التي تناولت ذلك ، و الدراسة الثانية لبشرى الشقوري التي قدمت قراءة نقدية لكتاب سراج الملوك للطرطوشي من خلال التطرق إلى مفهوم السلطة و الأخلاق عند هذا الأخير ، و الدراسة الثالثة للأستاذ الدكتور محمد الأمين بلغيث في كتابه دولة المرابطين بالأندلس من مدينة السياسة إلى مدينة العلم ، (و هو في الأصل أطروحة دكتوراه دولة)، و قد طبع عن دار الوعي بالجزائر سنة 2009م ، حيث تكلم عن الطرطوشي عند الكلام عن السياسة عند المرابطين ، حيث أكد بأن الناظر في مؤلفات علماء الأمة يجد أنّهم أولوا هذا الموضوع اهتماماً كبيراً ولم يغفلوه ، ومن هؤلاء أبي بكر الطرطوشي فلقد ظهر هذا المفكر أندلسي من نوع خاص؛ في المجتمع الأندلسي المترف الذي يعشق الحياة والمتع المادية كما ظهر بين جمهرة من أئمة العلوم والآداب، واتخذ من أوضاع دول ملوك الطوائف وأحداثها السياسية مادة لفكره ونظرياته السياسية والاجتماعية.

كما أشار الأستاذ الدكتور محمد الأمين بلغيث على تطور الفكر السياسي في هذا العصر، وبيّن أن الآثار التي وصلت من أعمال الطرطوشي غايتها تربية أمراء المجتمع والدولة الجديدة لبناء دولة الشريعة، والابتعاد عن الرذائل والأسافل ،ولم تكن آثار مفكري هذا العصر تدعو إلى تثبيت استبداد الملوك والسلاطين كما ذهب إلى ذلك بعض الباحثين الذين أرخوا لآثار "مرايا الأمراء" ، و"نصائح الملوك"، وكتب "السياسة الشرعية"، فقد أبرزَ قيام أمراء المرابطين(يوسف،علي، تاشفين) على ناموس الشريعة وابتعادهم عن مظاهر الترف، الذي تعرفه الممالك في عصرهم مما جعلهم أقرب إلى الزهاد منهم إلى السلاطين أصحاب الشوكة.

أولا /أبو بكر الطرطوشي (بيئته ، حياته ، وفاته)

أ-الوضع العام بالأندلس ما بين القرن 4-6هـ/10-12م

ما إن سقطت الخلافة الأموية و انتهى حكم العامريين ، نشبت الفتنة القرطبية و شاعت معها الكوارث و النوائب[1] ، حتى أخذت الأوضاع في الأندلس تدخل طور من الاضطرابات و تفكك الوحدة السياسية ، فقد استقل الأمراء و الرؤساء من البربر و العرب و الصقالبة بالمدن الأندلسية، حيث وانتقل كل أمير بناحيته ، وأعلن نفسه ملكا عليها فدخلت البلاد بذلك عصر جديد هو عصر ملوك الطوائف ، أو عصر الفرق كما يسميه بعض المؤرخين فلقد انضوت هذه الدويلات الطائفية تحت لواء ثلاثة أحزاب كبيرة عمل كل منها على بسط سلطانه على الأندلس[2].

واقتسموا ولاياتها، و تغلب بعضهم على بعض ، حيث أقام البربر في الجنوب ، وخضع شرق البلاد للصقالبة ، أما البقية الباقية من الأندلس فقد أصبحت في أيدي مجموعات من محدثي النعم ، أو بعض الأسر القديمة التي أفلتت من ملاحقة عبد الرحمان الناصر أو المنصور بن أبي عامر ، و على هذا فقد حكم الأندلس يومئذ ما يقرب من حنو عشرين أسرة مستقلة في عشرين مدينة أو مقاطعة ، ممن سموا بملوك الطوائف[3].

و لهذا سادت الأندلس بعد سقوط الخلافة الأموية بالأندلس 422هـ/1031م حالة من الارتباك تبينت خيوطها السوداء بقيام دول متعددة فيها عرفت بملوك الطوائف ، هذه التسمية واضحة المدلول و التسمية في وصف حالة الأندلس الذي توزعته ممالك كثيرة ، تفوتت قوتها و أهميتها ، و مساحتها ودورها في أحداث التاريخ الأندلسي ، و كان بعضها يتربص ليحوز ما بيد غيره ،كما كانت ممالك اسبانيا تتربص بهم جميعا ، لا تميز حتى من كانت له معها صداقة أو عهد[4].

وفي ذلك يقول ابن الخطيب"... وذهب أهل الأندلس من الانشقاق و الانشعاب و الافتراق ، إلى حيث يذهب كثير من أهل الأقطار ، مع امتيازها بالمحل القريب ، و الخطة المجاورة لعباد الصليب ، ليس لاحهم في الخلافة ارث ، و لا في الإمارة سبب ، و لا في الفروسية نسب ، و لا في شروط الإمامة مكتسب ، اقتطعوا الأقطار ، و اقتسموا المدائن الكبار ، و جبوا العمالات و أمصار ، و جندوا الجنود ، و قدموا القضاة ، و انتحلوا الألقاب ، و كتبت عنهم الكتاب و الأقلام ، و أنشدهم الشعراء ، و دون بأسمائهم الدواوين ، وشهدت بوجوب حقهم الشهود ، ووقفت بأبوابهم العلماء ، وتوسلت إليه الفضلاء ، وهم مابين محبوب ، وبربري مجلوب ، ومجند غير محبوب ، و غفل ليس في السراة بمحسوب ، ما منهم من يرضى أن يسمي ثائر ، ولا لحزب الحق مغايرا ، وقصارى احدهم ان يقول :" أقيم علي ما بيدي حتى يتعين من يستحق الخروج به إليه ، ولو جاء عمر بن عبد العزيز لم يقبل عليه ، و لا لقي خيرا لديه ، و لكنهم استوفوا في ذلك أجالا و أعمارا ، و خلفوا آثارا ، وان كانوا لم يبالوا اغترارا، من معتمد ومعتضد و مرتضي و موفق و مستكف و مستظهر و مستعين ومنصور و ناصر و متوكل ..." [5].

ومن أشهر هؤلاء بنو ذي النون الذين ملكوا طليطلة ، وحكموا مرسية و بلنسية ، ومنهم بنو هود في سرقسطة ، و بنو زيري في غرناطة ، وبنو حمود الأدارسة في الجزيرة ، و مالقة ، و بنو عباد باشبيلية ، و بنو جهور بقرطبة ، وبنو صمادح بالمرية ، وبنو الأفطس ببطليوس غربي الأندلس، و بنو عامر و الصقالبة بشرق الجزيرة[6].

وكان تمزق الأندلس على هذا النحو المأساوي ضرب لكيان الدولة الإسلامية لم تفق منها أبدا ، بل إنها كانت البداية الحقيقية لانحلال الدولة رغم ما انتابها في بعض الأحيان من صحوات و يقظة مدت في عمرها مئات الأعوام[7].

كان عصر الطوائف بالأندلس عصرا غريبا ، يمتاز من الناحيتين السياسية و الاجتماعية ، بعدة خصائص تجعله عصرا قائما بذاته ، فمن الناحية السياسية ترى الأندلس في عصر الطوائف تتناثر إلى دويلات عديدة ، متذبذبة متنافسة ، يسودها الخلاف و التفرق ، وتشتبك في حروب أهلية صغيرة لا نهاية ، و ترى اسبانيا النصرانية تستطيل عليها ،و تتربص بها و تحاول أن تؤلب بعضها على بعض ، وان تنتزع منها ما استطاعت من القواعد و الأراضي ، ومن الناحية الاجتماعية ، ترى في دول الطوائف مجتمعات منحلة ، يغلب عليها الضعف و الجور ، و الانهماك في الترف ، وحياة المجون و الدعة و الاستهتار[8].

هكذا كان حال المسلمين في ذلك العصر ، فالتزام بالدين قد قل ، و عقد الوحدة قد انفرط و الجهاد و مقاومة العدو قد ضعف عند أكثر الناس ، كما أصبح العدو عند الأبواب يجوس خلال الديار فسادا و يلقي الفزع و الخوف في نفوسهم ، فتركوها دون مصالحهم الذاتية ، كما انحرف بعض ملوك الطوائف في كثير من تصرفاتهم عن النهج السليم ، فاستنصروا بأعداء الأمة ضد إخوانهم ، ولم يحاولوا أن يكونوا يدا واحدة في ظل كيان سياسي موحد ضد مطامع النصارى و مخططاتهم [9].

و قد اخترت هذه المرحلة لغناها بالأحداث الهامة ، فعصر الطوائف يمثل مرحلة انتقالية في حياة الأندلسيين جرتهم إلى الانقسام و الفوضى ، حيث انتقل كل أمير داعيا إلى ملكه ، متميزا بجاهه و سلطانه و تسييره الداري باذلا جهده لأجل الحفاظ على مكتسبه ، فكان النذير بحياة فوضوية يملؤها الفشل و تعمها الروح الانتهازية ، موالين ملوك النصارى الذين فرضوا عليهم بموجب الغلبة جزية يدفعونها نظير حمايتهم لهم [10].

و لعل اغرب ظاهرة تبدو خلال هذا الانحلال الشامل ، الذي كان يسود مجتمع الطوائف ، هو أن هذا المجتمع ، كان من الناحية الأخرى ، يبدو في أثواب لامعة زاهية ، و يسطع بنهضة أدبية شاملة ، وأنها لظاهرة من أبرز ظواهر عصر الطوائف ، أن يكون معظم الملوك و الرؤساء من أكابر الأدباء و الشعراء و العلماء ، و أن تكون قصورهم منتديات زاهرة ، و مجامع حقة للعلوم و الآداب و الفنون ، وان يحفل هذا العصر بجمهرة كبيرة من العلماء و الكتاب و الشعراء الممتازين ، ومنهم بعض قادة الفكر الأندلسي ، و الفكر الإسلامي بصفة عامة[11].

في هذا المجتمع المترف ، الذي يعشق متع الحياة المادية ، و من بين هذه الجمهرة الحاشدة من أئمة العلوم و الآداب ، ظهر مفكر أندلسي من نوع خاص ،يتخذ من بين أوضاع هذه الدول الصغيرة – دول الطوائف – ومن أحداثها و سياسة ملوكها مادة لتأملاته و يتأثر بها في تفكيره ، و يصوغ لنا منها مباديء و نظريات خاصة ، هذا المفكر هو العلامة أبو بكر الطرطوشي ، وقد أودع نظرياته السياسية و الاجتماعية كتابه الشهير المسمى سراج الملوك[12].

ب-أبو بكر الطرطوشي (حياته ، نشأته):

هو أبوبكر محمد بن الوليد بن محمد بن خلف بن سليمان بن أيوب القرشي الفهري الطرطوشي ، ويعرف بابن أبي رُندقة ، ولد بثغر طرطوشة 26 جمادي الأولى سنة451هـ / يوليو 1059م ، و قد كان طرطوشة يومئذ ثغرا مملكة سرقسطة الأندلسية الأول ، وكان مملكة سرقسطة تتمتع في ظل أمرائها من بني هود بفترة من الازدهار و الرخا ، وكانت فوق ذلك مركزا من مراكز العلوم الأندلسية ، وكان بلاط بني هود منتدى للعلوم و الأدباء ، وكان أمير سرقسطة في هذا الوقت الذي ظهر فيه الطرطوشي ، و تلقى دراسته الأولى هو المقتدر بن هود 438-474هـ ، ولكن من أكابر علماء عصره يشغف بدراسة الفلسفة و الفلك و الرياضة، وله في ذلك كتب ضاعت و لم تصل إلينا ، وكان من أكابر العلماء المنتمين إلى بلاطه ، العلامة الكبير أبو الوليد الباجي ، إمام عصره في الفقه و في مسائل الخلاف ، فقصد الطرطوشي الى هذا المنهل الغزير ، و تلقى عن الباجي كثيرا من علمه ، ولاسيما مسائل الخلاف و لازمه أعواما خلال إقامته بسرقسطة، وتأثر الطرطوشي بتفكيره و فلسفته الكلامية بتفكير هدا المفكر العظيم ، كما تأثر كذلك بتفكير صنوه و قرينه في غزارة الفقه و مسائل الخلاف و الفرق ، العلامة ابن حزم القرطبي ، وشهد في شبابه أحداث دول الطوائف ، وشهد بالأخص أحداث مملكة سرقسطة (وطنه) عن كثب ، وهي التي أملت عليه فيما بعد بعض نظرياته السياسية و الاجتماعية [13].

وقد نبغ الطرطوشي في سرقسطة البيضاء في عهد المستعين بن المؤتمن، حيث كانت المدينة حاضرة زاهرة، وكان بنو هود من حماة العلوم والآداب والفلسفة والفلك،ونبغ بعضهم في ميدان الفكر،ولا سيما أبو جعفر المقتدر، وولده يوسف المؤتمن، وقد كان كلاهما من أكابر علماء عصر الطرطوشي في الفلسفة والرياضيات والفلك، حيث اشتهرت سرقسطة دون غيرها كمركز للدراسات الفلسفية والرياضية ومن أعلامها كما أشرنا إلى ذلك فيلسوف عصر المرابطين ابن باجة وهو الفيلسوف والفلكي والطبيب والرياضي، وقد عرف عند الغرب تحت اسم (***Avempace***) [14].

وفي سنة (476هـ/1084م)رحل الطرطوشي إلى المشرق، حيث زار مكة ودرس فيها وأدى فريضة الحج، ثم زار بغداد وهي آنذاك من أكبر مراكز العلم وكانت محط أنظار العلماء، يفدون إليها من أقصى الشرق والغرب، درس في بغداد على أبي نصر عبد السيد بن محمد بن الصباغ الذي تولى التدريس بنظامية بغداد كما تفقه على يد أبي بكر الشاشي وأبي حمد الجرجاني وكلهم أئمة الشافعية[15]، وكان الطرطوشي معاصرا لأبي حامد الغزالي وله وحشة من الإحياء ،ورد عليه برسالة لم تصلنا كاملة لا تزال في حكم المخطوط على ما ذكر مترجموه[16] ، ولعلها "الأسرار والعبر" كما ذكر الفقيه العلامة محمد المنوني، وهي ما تزال مخطوطة في خزانة القصر الملكي بمراكش، كما سبق الإشارة إلى ذلك[17].

زار الطرطوشي بلاد الشام ثم جلس للتدريس ببيت المقدس،وزار جبل لبنان ثم ألقى عصا الترحال في الإسكندرية ولهذا يسمى بالفقيه الأندلسي نزيل الإسكندرية[18].

و استوطنها مدة و درس بها و اشتهر يومئذ بغزير علمه و بعد صيته ، كما اشتهر بورعه و زهده ، وكان جم التواضع ، يعيش في شغف و تقشف بعيدا عن متاع الدنيا ومباهجها، ثم غادر الشام ونزل حينا ببيت المقدس يقريء بها ، ثم غادرها إلى مصر فنزل بالإسكندرية يسبقه صيته ، فهرع اليه الطلاب من كل صوب[19].

وكان نزوله بالإسكندرية حوالي سنة 488هـ في بداية عهد الوزير الأفضل شاهنشاه بن بدر الحمالي وهو في نحو 38 من عمره ، وكانت الإسكندرية دائما مهبط علماء المغرب و الأندلس المفضل ، فكان بها في نفس الوقت الذي نزل بها الطرطوشي مواطنه العلامة أمية بن أبي الصلت الأندلسي ت 529هـ ، ونزلها من بعده بنحو نصف قرن مواطنه العلام المقريء الشهير أبو القاسم الرعيني الشاطبي الضرير، إمام القراءات ت 529هـ وهو الذي أورث مصر علم القراءات ، ونزلها منتصف القرن 7هـ العلامة الأندلسي المتصوف ابو العباس المرسي ت 685هـ ، وغيرهم ممن لا يتسع المقام لذكرهم من علماء المغرب و الأندلس[20].

و في الإسكندرية استقر الطرطوشي و اقبل عليه الطلاب ينهلون من علمه في الحديث و الفقه و مسائل الخلاف ، ولم يمض سوى القليل حتى تزوج من سيدة مصرية و أنجب منها وذلك حسب ما يحثنا في كتاب سراج الملوك ، وبدأ عندئذ يتذوق حياة الهدوء ، ثم ذهب إلى القاهرة واستقبله وزيرها الحاكم بأمره الأفضل شاهنشاه و هو يحدثنا في كتابه المذكور عن هذه الزيارة ، ويقص علينا كيف قام بوعظ هذا الوزير القوي ، ونصحه بتقوى الله و طاعته و إقامة العدل ، وقمع الظلم ، و الرفق بالرعية ، ولم يلبث عقب عودته إلى الاسكندرية أن نشبت بينه و بين قاضيها مكين الدولة بن حديد ، خصومة شديدة بسبب ما كان يثيره الطرطوشي من نقد حاد حول تصرفات هذا القاضي في شؤون الأموال و المكوس و المغارم الظالمة و غيرها من التصرفات الإدارية و القضائية هذا فضلا عما كان يصدره الطرطوشي من فتاوى تثير الرأي العام في بعض الشؤون مثل قوله بتحريم الجبن الذي يأتي به الروم إلى المدينة ، وهذا إلى حملاته المتكررة على كثيرا من العادات السائدة في المجتمع السكندري ، وهذا ما كان ينعته بالبدع المحرمة[21].

و لما ضاق القاضي ابن حديد و أعوانه بمسلك الطرطوشي ، بعث بشكاوي و تقارير إلى الخليفة بالقاهرة ، هذا الأخير الذي أمره بالإقامة في مسجد الرصد بالفسطاط ، حتى يبث في شانه ، و قدر له راتبا شهريا ضئيلا[22].

و بعد خلاصه عاد الطرطوشي إلى الإسكندرية و استأنف حياته السابق (حياة الدرس و الإقـراء) ، بدأ في نفس الوقت في كتابة مؤلفه سراج الملوك ، مهتديا في كتبه بمختلف الإحداث و التطورات التي شهدها بالأندلس في شبابه ، و شهدها في العراق و السام و مصر في كهولته و نضجه[23].

توفي الطرطوشي بثغر الإسكندرية في 26 من جمادي الأولى سنة 520هـ / يوليو 1127 م في التاسعة و الستين من عمره و ودفن بمقبرة وعلة قريبا من البرج الحديد ، قبل الباب الأخضر ، وقد عرف قبره فيما بعد ، و أقيم عليه مسجد يسمى بمسجد الطرطوشي ، وهو ما يزال قائما حتى يومنا[24].

ج-تراث الطرطوشي :

إن حياة ابي بكر الطرطوشي غي المستقرة لم تمنعه من التأليف، فقد ذكرت المراجع الحديثة أن له تآليف كثيرة ، و أغلب الظن أنه وضع معظم هذه المؤلفات أثناء مقامه في الإسكندرية ، بعد أن تزوج و أنجب و إطمأن إلى معيشة هادئة في كنف زوجته السكندرنية الصالحة. و يبدو أن هذا الرجل كان نشيطا منتجا ، خصيب الإنتاج ، وقد أحصت له اثنين و عشرين مؤلفا ، الموجود منها تسعة و الباقي مفقود[25] .

وهذه المصنفات فريدة في علوم الشريعة والفقه المقارن والتفسير والسياسة الشرعية ومن أهمها "عرائس المجالس"، ومختصر تفسير الثعالبي، وله الكتاب الكبير في مسائل الخلاف وشرح لرسالة أبي محمد بن أبي زيد القيرواني وكتاب الأسرار ذكر فيه حقيقة العقل وأقسامه ومحله، وأحكامه[26].

و له كتاب معارضة إحياء الغزالي ، و رسالة العدة عند الكرب والشدة .و رسالة في تحريم الجبن الرومي ، وكتاب بر الوالدين ، و رسالة في تحريم الغناء، تحريم الاستمناء، و كتاب نزهة المتحابين في الله ، وكتاب الدعاء، كتاب النهاية في فروع المالكية، وكتاب نفائس العين ، و كتاب اختصار أخلاق الرسول صلى الله عليه وسلم، وكتاب الأسرار ذكر فيه حقيقة العقل وأقسامه ومحله، وأحكامه، و"الفتن"، و"الرد على اليهود""، و"سراج الملوك "، وهو من أهم كتبه على الإطلاق، ويعد من أوائل المصنفات التي أسست للفكر السياسي في الإسلام، ووضعت الأطر الشرعية الكاملة للنظم السياسية في الحكم والولاية، وصنفه عقب المحن الأليمة التي تعرض لها، وكادت تنهى حياته، فقد كان شديداً على الطغاة ويمقت البدع والمبتدعين، ويؤمن بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والنصح للحاكم[27].

ومن مؤلفاته أيضا كتاب "الحوادث والبدع" [28] حيث اقتصر حديثه في هذا الكتاب على ما حدث بين المسلمين في أبواب العبادات والبدع فقد كان هدفه من الكتاب هو تطهير هذه العبادات والشعائر والعودة بها إلى النقاء الذي كانت تتصف به في أجيال الإسلام الأولى، وقد كانت كتب البدع قد بدأها ابن وضاح القرطبي وغيره وأعلاها ما كتب الطرطوشي والذي من خلاله يتحدث الدارسون عن باب كبير في الفقه المالكي، وهو باب سد الذرائع[29] ومن تلاميذه الذين كان لهم شأن كبير في التاريخ الإسلامي المهدي بن تومرت ومحمد بن العربي الإشبيلي الذي وصف أستاذه بالعلم والفضل والزهد في الدنيا[30] .

ثانيا: الإصلاح في فكر أبي بكر الطرطوشي

أ-عوامل النزعة الإصلاحية:

ساهمت في بناء شخصيته العلمية الفذة و نزعته الإصلاحية عدة عوامل من أبرزها : أخذه العلم من مشاهير علماء الأندلس و العالم الإسلامي ، فقد تفقه بالقاضي أبي الوليد الباجي و صحبه بمدينة سرقسطة و اخذ عنه مسائل الخلاف خاصة ، و سمع منه و أجازه و قرأ عليه الفرائض و الحساب ، كما قرأ الأدب على يد الفقيه الظاهري أبي محمد بن حزم باشبيلية ، ومن شيوخه أيضا أبو عبد الله محمد بن عبد الرحمان التجيبي كما التقى بالقاضي الأندلسي الشهير أبي بكر محمد بن العربي بالمسجد الأقصى ، كما اخذ عن كثير من الشيوخ في

بلاد المشرق ، فاخذ عن الأئمة مثل أبي بكر الشاشي و أبي محمد الجرجاني و ابن سعيد المتولي و أبي علي التستري و أبي عبد الله الدامغاني و غيرهم[31].

وفي نطاق هذا الوضع نعثر في التاريخ السياسي الإسلامي على محاولات إصلاحية قامت في مناطق مختلفة من العالم الإسلامي، تهدف إلى تلافي الفساد الذي يطرأ على سياسة دولة من الدول أو من أمير من الأمراء، و تروم تنزيل السياسة الشرعية التي مارسها الرسول (صلى الله عليه و سلم) وخلفاؤه الراشدون منزلة الواقع.

و أما ثاني العوامل المؤثرة في نزعته الإصلاحية فكثرة ارتحاله في مدن الأندلس و أقطار العالم الإسلامي ، فبعد أن تنقل في مدن الأندلس مثل سرقسطة و اشبيلية و بلنسية و قرطبة و غيرها. رحل إلى المشرق سنة 471هـ و دخل بغداد و البصرة ، ثم انتقل إلى بلاد الشام و قصد القدس الشريف ، ثم استقر آخر المطاف في مصر و سكن الإسكندرية و تزوج بها من امرأة موسرة ، و من هذه العوامل اتصاله بالسلاطين و الملوك مما أتاح له الاطلاع على سياسة الدول و الملوك ، ففي مصر اتصل بالأفضل ابن أمير الجيوش ،ولما قتل الأفضل وولي من بعده المأمون ابن البطائحي أكرم المأمون أبا بكر الطرطوشي إكراما كثيرا ، و يقال بأن الطرطوشي قد ألف كتاب سراج الملوك للمأمون هذا ولي الأمر بمصر آنذاك ، عندما أهداه للمأمون[32] :

الناس يهدون علـى قدرهـــم لكنني اهدي على قدري

يهدون ما يفنى، و أهدي الذي يبقى على الأيام و الدهر

ب-تراث أبي بكر الطرطوشي :

ولا سبيل هنا ونحن نقترب من المشروع الفكري للنخبة السياسية الواعية برسالة المجتمع المسلم في مرحلة من أخطر المراحل التي تعيشها العقلية الإسلامية ببلاد الغرب الإسلامي، حيث تعرف الشتات والتفرق المذموم والصراع بين العصبيات حول السلطة والسلطان دون اعتبار لمخاطر السقوط والانحراف.لأن أهم خصائص الشخصية المتميزة هو تعبير المفكر عن وعي الأمة، وهذا معناه أيضا على المستوى الفكري والفلسفي هو وعي الذات، الذي هو الآخر وعي جماعي بوحدة الشعب والأمة التي تعبر عن تميزها وخصوصيتها كهوية مختلفة عن الآخرين، والإشكال على ما هو معروف في الدراسات السوسيولوجية، هو تعبير عن قضية لا تزال مطروحة إلى اليوم عند المفكرين العرب والمسلمين وهي إشكالية الأمة والهوية الثقافية، و يمكن إدراج وحدة الجماعة ضمن هذا المنظور الفكري الذي تبناه المفكر الإمام الحضرمي كأحد العناصر الأساسية لمشروعه الفكري أو مشروع المجتمع كما اصطلحنا على التنبيه إليه في مدخل هذه الرسالة وضمن مصطلحاته.وهكذا تكون السياسة المحتملة من حاكم مسلم كأبي بكر بن عمر أمير المرابطين سياسة محتملة في صالح الراعي والرعية، وهذا من خلال "وحدة الجماعة".وليس من قبيل المبالغة القول: إنَّ جل الباحثين والمفكرين المغاربة إلى حد قريب كانوا يعرفون عن تاريخ الفكر والحضارة بالمشرق حتى بلاد فارس أكثر مما يعرفون عن الغرب الإسلامي لهذه الأسباب جميعا تابع أديب الأندلس ومؤرخها ابن بَسَّام الشنتريني أحوال وأخبار الأندلس وسجله في موسوعته الكبيرة " الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة"، ليسجل كما هو ظاهر على عنوان موسوعته الأدبية؛ خصوصيات الأندلس أو الجزيرة كما نعتها؛وهو نفس الهم الذي سجله ابن حزم الظاهري في عمله التاريخي "رسالة في فضل الأندلس وذكر رجالها[33].

تميز الطرطوشي بميزات عدة جعلت منه مصلحا اجتماعيا أولاها : دقة الملاحظة ، وثانيتها : الأسلوب الجدلي ، وثالثتها : القدرة على الاتصال الجماهيري[34].

إن المطالع لمؤلفات الطرطوشي يلاحظ من القراءة الأولى أن الطرطوشي كان دقيق الملاحظة لكل ما يجري على ارض الأندلس و غيرها من البلدان الإسلامية ، ممن ممارسات شعبية و عادات وشطح ،و مستحدثات ، و كان يربط ما يراه بالصول الدينية و يتبين ما ينسجم من هذه الممارسات مع العقائد و التعليم الدينية ، مثلما يتبين ما يتعارض من الممارسات مع تلك التعليم ، ومن هنا كان أسلوبه في الإصلاح ورد الأشياء إلى أصولها أسلوبا جدليا قائما على المناقشة و الإقناع ، و من هنا أيضا كان محبوبا من قبل طلبة العم الذين اقبلوا عليه من كل جهة[35].

لم يكتف الطرطوشي بأن يدعو إلى الإصلاح بطريقة نظرية ، بل مارس الإصلاح عمليا ،و أخبار سيرته تؤكد ذلك ، فقد كان الطرطوشي زاهدا عابدا متورعا متقللا من الدنيا قوالا للحق ، وكان يقول : إذا عرض لك أمر الدنيا و الأخرى فبادر بأمر الأخرى يحصل لك أمر الدنيا و الأخرى ، و تورد المصادر انه عندما أَلَّف كتاب سراج الملوك للمأمون بن البطائحي ، أمر المأمون بأن يحمل الطرطوشي كل يوم خمسة دنانير ، فامتنع الطرطوشي عن أن يقبل غير دينارين فقط[36].

و كان الطرطوشي يدرك أن الإصلاح لا يتم أولا إلا من خلال التنوير أي التعليم ، ولذلك فقد اشتغل بالتدريس و هو في الإسكندرية ، ولما تزوج هناك بامرأة موسرة و هبت له دارا، فجعلها مدرسة و راح يدرس بها ... كما إننا ا نستغرب ان نجد من تلاميذه الطرطوشي علماء مشهورين

مثل ، المهدي بن تومرت مؤسس الدولة الموحدية و أبي علي الصدفي و غيرهم[37].

وكنا قد أشرنا في أكثر من مكان أن الطرطوشي كان حلقة متينة للحفاظ على المالكية والدفاع عن شرعية قيام دولة سنية تحاصر المد الإسماعيلي بمصر والمشرق، وهي المهمة التي قام بها بعده آل زنكي ثم من بعدهم صلاح الدين الأيوبي، وكان الطرطوشي كما يحدثنا تلميذه والمتصرف في حوائجه والملازم لخدمته أبو عبد الله التُّجيبي أن الشيخ كان صاحب نُزْهة، يخرج مع طلبته إلى البستان فيقيمون الأيام المتوالية في فرجة ومذاكرة ومداعبة، وأنَّهم كانوا في إحدى المرات ثلاثمائة وستين رجلاً، لكثرة الآخذين عنه المحبين في صحبته و خدمته ، و أن هذا من جملة ما رفعه عنه القاضي ابن حديد إلى السلطان العبيدي ووشى به[38]. وقد ظهر للباحث أحمد باكير أن الشيخ كان بجانب وعظ طلابه وحثهم على طلب العلم يحملهم على مقاومة العبيديين،وهذا لا يستغرب البتة إذ ذكرنا أنه كان ينسب مناكر إلى العبيديين،وأنه كان يعتبر نفسه داعيا إلى هداية قوم ضُلاَّل ،وأصحاب بدع[39].

و كان الطرطوشي يحث السلاطين على إنشاء المدارس و دور العلم ، مثلما كان يحث سلطان مصر في زمنه على إنشاء المكتبات مثل مكتبة دار الحكم الجديدة بالقاهرة[40].

و في ذلك يقول : " فاتخذ العلماء شعارا ، و الصالحين دثارا ، فتدور المملكة بين نصائح العلماء، ودعوات الصلحاء ، واخلق بملك يدور بين هاتين الخصلتين أن تقوم عُمُده ، ويطول أمده ، كيف لا و قد فرقهم الله في سلطانه ، و اصطفاهم بخالص معرفته ، فقال جلى في علاه: ﴿شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُوا الْعِلْمِ قَائِمًا بِالْقِسْطِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ (18) ﴾[41]، فبدأ بنفسه و ثنى عل ملائكته ،وثلث بأولي العلم ، وهم ورثة الأنبياء...[42].

ومن المسالك الإصلاحية للطرطوشي ما اخبرنا به ابن الحاج في كنابه المدخل قال : الإمام الطرطوشي ودع رفيقه مرة من الإسكندرية و أرسل السلام إلى والده بالمغرب، وقال : هذه بلاد مصر لا يحل لي ان اخرج منها لما غلب فيها من الجهل ، فجعل رحمه الله يقعد على دكان بياع فيعلمه ما يحتاج إليه في عقيدته و فرائض وضوئه و سننه و فضائله...فإذا فرغ منه يقول له : علم جارك ، ثم ينتقل إلى داكن آخر[43].

ثالثا / الإصلاح في كتابات الطرطوشي:

أ-كتاب الحوادث و البدع : هذا الكتاب واحد من أهم الكتب في موضوع الحوادث، وقد حققه الأستاذ محمد الطالبي و نشره بالمطبعة الرسمية للجمهورية التونسية 1959م[44]، و قد أعيد تحقيقه طرف الأستاذ عبد المجيد تركي سنة 1990 عن دار الغرب الإسلامي ببيروت ، معرفا بإيجاز المُؤلف (الطرطوشي) :" عالم من كبار العلماء، متمسكا بالسنة النبوية ، وبيان فضل أهلها ، كما شد على أبي بكر الطرطوشي شدة تطلعه إلى سلوك معاصريه من المسلمين "[45].

كما أبرز قيمة الكتاب حيث قال :" أن الطرطوشي يهدف من وراء هذا إلى إقامة مجتمع مسلم (في عصره) مستقيم في عقيدته و سلوكه اليومي ، ينظر إلى يومه ، وكذلك إلى غده على ضوء أمسه "[46]. وكتب تمهيداً عن التأليف في البدع موضحاً إنكار السلف للبدع المحدثة ، وتحرجهم في التأليف في ذمها والتحذير منها ما لم يكن المؤلف ضابطاً عارفاً بما يقوم به ولئلا يكون ذلك سبباً في إظهار الجدل مما يؤدي إلى ما يخاف عاقبته[47].

ثم بيَّن الضعف الذي كان عليه الأستاذ محمد الطالبي من خلال تحقيق الكتاب ، ومرد ذلك الضعف إلى النقص الواضح في تهيء الطالبي لهذا العمل من خلال تسرعه في عمله فبدأ بتمهيد سطحي قليل الفائدة[48].

و قد اعتمد المحقق عبد المجيد تركي على نسخ عديدة (نسخة مخطوطة في المكتبة الوطنية بأسبانيا ، ومخطوطة دار الكتب التونسية ، ونسخة الخزانة العامة بالرباط ، ونسخة من مكتبة شسرتيني بايرلندا الجنوبية)[49].

و اورد في الكتاب التعريف بابي بكر الطرطوشي ، حياته و تآليفه المخطوطة و المطبوعة ، ثم تلاميذه ، ثم قيمة الكتاب العلمية ، كما أكد على ضرورة إعادة تحقيق الكتاب من خلال التعريف بضعف التحقيق السابق (تحقيق الطالبي)، و بعض الخطاء التي وقع فيها[50].

ثم بين رأي العلماء في كتابه وثناءهم عليه (كابن فرحون) و (أبو شامة) و(ابن الحاج) ، ثم بين المحقق محتويات الكتاب بإيجاز وأسلوبه في النقل موضحاً أنه استفاد ممن سبقه ولم يذكر ذلك عنهم ، ثم بين (أسلوب المؤلف الجدلي) موضحاً أن كتابه هذا ليس موجهاً للعموم فحسب كي يقلعوا عما هم فيه من منكرات الأمور.
ثم تكلم عن أبواب الكتاب الأربع (سيأتي الحديث عنها) و ختم تحقيقه بفهارس للأعلام و الآيات القرآنية و الأحاديث النبوية الشريفة ، و قائمة مثبتة لقائمة المصادر و المراجع المعتمدة في تحقيق الكتاب[51].

و"الحوادث والبدع" اقتصر حديثه في هذا الكتاب على ما حدث بين المسلمين في أبواب العبادات والبدع فقد كان هدفه من الكتاب هو تطهير هذه العبادات والشعائر والعودة بها إلى النقاء الذي كانت تتصف به في أجيال الإسلام الأولى، وقد كانت كتب البدع قد بدأها ابن وضاح

القرطبي وغيره وأعلاها ما كتب الطرطوشي والذي من خلاله يتحدث الدارسون عن باب كبير في الفقه المالكي، وهو باب سد الذرائع[52].

و يبدو أن الطرطوشي في هذا الكتاب كأنه مراقب لحركة المجتمع ومنبها إلى الأخطاء التي ينزلق إليها هذا المجتمع في حركته ، و لذا فان كتاب يعد واحدا من المصادر المهمة لدراسة أحوال المجتمع الإسلامي في الأندلس و غيرها[53].

و الطرطوشي يرى في القران الكريم و السنة النبوية و الإجماع الطريق الصحيح للممارسات الاجتماعية ، فنراه ينبه على ما يخالف ذلك و يخرج عنه و يسميه بدعة ، و لذلك نجده ينُص في مقدمة الكتاب قائلا : هذا كتاب أردنا أن نذكر فيه جملا من بدع الأمور و محدثاتها التي ليس لها أصل في كتاب الله و سنة نبيه و لا إجماع و لا غيره، فاليت ذلك ينقسم قسمين ك قسم يعرفه الخاصة و العامة أنها بدعة محدثة إما مرحمة وإما مكروهة ، وقسم يظنه معظمهم، إلا من عصم الله ، عبادات و قربات و طاعات و سننا ، فأما القسم الأول فلم نتعرض لذكره إذ كفينا مؤونة الكلام فيه لاعتراف فاعله أنه ليس من الدين ، و أما الثاني فهو الذي قصدنا جمعه و إيقاف المسلمين على فساده ووبال عاقبته[54].

ثم بين أبواب الكتاب الأربعة كما يلي: الباب الأول[55] : فيما انطوى عليه الكتاب العزيز من الأمور التي ظاهرها السلامة إلى أنها تؤدي إلى هلاك الإنسان ، مورداً بعض الآيات ومنها قوله عز و جل : ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقُولُوا رَاعِنَا وَقُولُوا انْظُرْنَا وَاسْمَعُوا وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٌ (104)﴾[56].ثم بين أن مما يدخل في هذا الباب والتحذير من الزيادة في دين الله تعالى والنقصان منه ، قوله تعالى : ﴿وَإِذْ قُلْنَا ادْخُلُوا هَذِهِ الْقَرْيَةَ فَكُلُوا مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ رَغَدًا وَادْخُلُوا الْبَابَ سُجَّدًا وَقُولُوا حِطَّةٌ نَغْفِرْ لَكُمْ خَطَايَاكُمْ وَسَنَزِيدُ الْمُحْسِنِينَ (58)﴾ [57].إلى قوله تعالى: ﴿فَبَدَّلَ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ قَوْلًا غَيْرَ الَّذِي قِيلَ لَهُمْ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِجْزًا مِنَ السَّمَاءِ بِمَا كَانُوا يَظْلِمُونَ (162)﴾[58].

أما الباب الثاني : فيما اشتملت عليه السنة من النهي عن محدثات الأمور وأورد بعضاً من الأحاديث في التحذير من الأهواء والبدع ، ومنها حديث ابن مسعود عن النبي -صلى الله عليه وسلم- أنه خط لهم خطاً ثم خط إلى جانبه خطوطاً ، ثم قال للخط الأول : « هذا سبيل الله يدعو إليه » وقال للخطوط : « هذه سبل الشيطان علي كل سبيل منها شيطان يدعو إليه ثم قرأ قوله تعالى : ﴿وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ (153)﴾[59]، قال الطرطوشي : فانظروا رحمكم الله أينما وجدتم سدرة أو شجرة يقصدها الناس ويعظمون من شأنها ويرجون البرء والشفاء من قبلها وينوطون بها المسامير والخرق فهي ذات أنواط فاقطعوها[60].

ثم ركز في الباب الثالث حول هذا المعنى (البدعة) ، قال فيه : إن أصل الكلمة من الاختراع وهو الشيء الذي يحدث من غير أصل سابق ، ولا مثال احتذي ولا أُلف مثله ومنه قوله تعالى : [بَدِيعُ السَّمَوَاتِ والأَرْضِ]أي خالقها ابتداء .. وهذا الاسم يدخل فيما تخترعه القلوب وما تنطق به الألسنة وفيما تفعله الجوارح والدليل على هذا ما سيذكره في أعيان الحوادث من تسمية الصحابة وكافة العلماء بدعاً للأقوال والأفعال[61].

ذاكرا أساليب الصحابة في كيفية ضبطهم للقانون الذي به تحفظ قواعد الدين وتموت البدع وترك ما يؤدي إليها و قد ساق فيها آثاراً عن بعض الصحابة توضح ذلك ، ومنها : ما رواه البخاري في كتاب الصلاة عن أم الدرداء قالت : (دخل علي أبو الدرداء مغضباً فقلت له : ما لك ؟ فقال : والله ما أعرف فيهم شيئاً من أمر محمد إلا أنهم يصلون جميعاً[62].

وروى مالك في الموطأ عن أبي سهيل بن مالك عن أبيه أنه قال : (ما أعرف شيئاً مما أدركت عليه الناس إلا النداء بالصلاة)[63] ، يعني الصحابة ، وذلك أنه أنكر أكثر أفعال أهل عصره ، ورآها مخالفة لما أدرك من أفعال الصحابة ،وروي البخاري عن أنس قال : (إنكم لتعملون أعمالاً هي أدق في أعينكم من الشعر ، كنا لنعدها على أنكر ما أدرك بعد موت النبي عليه السلام[64].

قال الطرطوشي : فانظروا رحمكم الله إذا كان في ذلك الزمان طمس الحق، وظهر الباطل حتى ما يعرف من الأمر القديم إلا القبلة فما ظنك بزمانك هذا؟ ، والله المستعان[65]. .

و ذكر في الباب الرابع : في نقل ما حدث من ذلك في الإسلام ، وتنصيص العلماء على تحريمها و كراهتها ومنها ما يلي :

1-القراءة بالألحان : وهو التطريب الذي ينقل القراءة إلى أوضاع لحون الأغاني من مد المقصور ، وقصر الممدود ، وتحريك الساكن ، وتسكين المتحرك .. لاقتفاء نغمات الأغاني المطربة [66].

2-ثم عقد فصلاً عن آداب المساجد وما داخلها من البدع ، ومنها الأكل في المسجد وبناء السكن فوق المسجد والبصق به ، والسؤال فيه وإنشاد الضالة ورفع الصوت فيه[67].

3- ما روي من فضائل الأعمال في منتصف شعبان ، وبيان أنه لا يلتفت إليه ، وأورد قول ابن أبي مليكة رداً على ما قاله زياد البحترى : إن أجر ليلة النصف من شعبان كذا حتى يطلع الفجر (كأجر ليلة القدر). قال الطرطوشي : فهذه الآثار تدل على أن ما يعظمه الناس فيه إنما هي نزعات من بقايا عهود الجاهلية [68]، وأنهى الكتاب بفصل في جوامع من البدع ومنها [69]:

- دخول الحمام بغير مئزر مع أهل الكتاب.

- الإنذار للعرس والجنائز للمباهاة والفخر- البناء على القبور بالحجارة.
- إقامة المآتم للأموات والتصدي للعزاء - خروج النساء للمقابر واتباع الجنائز.

إن إيقاف المسلمين على هذه البدع و بيان فسادها و سوء عاقبتها في جوهر العملية الإصلاحية في هذا الكتاب ، و من الأمثلة التي يوردها الطرطوشي على هذه البدع :" و من البدع اجتماع الناس بأرض الأندلس بابتياع الحلوى ليلة سبع و عشرين من رمضان ، وكذلك على إقامة يناير بابتياع الفواكه للعجم ، وإقامة العنصرة ،و خميس ابريل بشراء المجبنات و الإسفنج ، وهي من الأطعمة المبتدعة ، وخروج الرجال جميعا و أشتاتا ، مع النساء ، مختلطين للتفرج، و كذلك يفعلون في أيام العيد و يخرجون للمصلى ، و يقيمون فيه الخيم للتفرج ، لا للصلاة ، و في عرضه للبدع المختلفة يناقش الطرطوشي هذه البدع المخالفة للشريعة مستندا إلى الجدال و الإقناع و موردا آيات قرآنية و أحاديث نبوية و أقوالا للإمام مالك رضي الله عنه و غيره من الأئمة[70].

ب- بر الوالدين: حقق هذا الكتاب محمد عبد الحكيم القاضي و نشره في بيروت 1987م. و يبين الطرطوشي في هذا الكتاب ما يجب على الوالد لولده و ما يجب على الوالد لولده ، و أما البعد الإصلاحي فيه فينبثق من حقيقة أن التربية الصحيحة و التماسك الأسري هما أساس صلاح المجتمع[71].

إن هذه المؤلفات الثلاث للطرطوشي و غيرها من مؤلفاته التي لم نتعرض لها ، تنظر بمجملها إلى الإصلاح الاجتماعي من جميع جوانبه، الأسرة ، المدرسة ، المجتمع ، السلطة ، وتؤكد على أن الطرطوشي قد كرس حياته لإصلاح المجتمع الإسلامي داخل الأندلس أو في خارجه سواء في سلوكه أو مؤلفاته[72].

كما أن مجمل هذه المؤلفات تنزع في مجملها إلى الإصلاح ، و قد ضاع بعضها مع مرور الزمن ، فما وصلنا كتاب سراج الملوك و كتاب الحوادث و البدع و كتاب بر الوالدين و غيرها[73].

و يتضح من أسماء مؤلفاته أن تآليفه لم تكن موجهة للعامة دون الخاصة ، بل إن الإصلاح لابد أن يشمل الراعي و الرعية على حد سواء ، فنلاحظ أن كتاب البدع و كتاب بر الوالدين ينزعان إلى إصلاح العامة ، بينما كان كتابه سراج الملوك إلى إصلاح الملوك[74].

ج- تجربة الإصلاح في كتاب سراج الملوك : كان ميلاد السياسة كفكر مع بداية ظهور التجمعات الإنسانية التي قامت على أسس السلطة السياسية، وقد كان العالم الإسلامي قد أوجد لنفسه خطًّا يسير عليه في حراسة الدين وسياسة الدنيا، ولا قيام للدين إلا بالولاية. وللسياسة تعريفات عديدة يضيق المجال عن سردها، سواء كانت عربية أو أجنبية، ونخلص من معظم التعاريف إلى أن علم السياسة موضوعه الدول، ومظهر الدول هو السلطة، وكيان الحكومة في مجتمع معين هو الشعب، وتنظيم العلاقة بين السلطة الحاكمة والمحكومين،والسياسة في أبسط مفهومها هي القيادة التي ترتكز على مبدأ العدالة والإنصاف للرعية التي تعرف في الأدبيات الإسلامية بالعامة، وأن الرعية تريد أول ما تريد حاكمًا عادلا وأن العدل أساس الملك، وأن مبدأ العدالة والإنصاف وتكافؤ الفرص هو ما يعرف بالديمقراطية الصحيحة، ويندر الاشتغال بهذا العلم، إلا في إطار البحث عن مرحلة الأزمة التي عرفتها الخلافة العباسية بعد ظهور أمراء متغلبين فكان الرائد في هذا الباب أبو يعلى الفراء الحنبلي وأبو الحسن الماوردي، وهو العمل في كيفية البحث عن تحقيق شرعية الخلافة والتوفيق بينها وبين المتغلب الذي فرض شوكته على دولة الخلافة، وقد حاول الفقهاء أن يجدوا مبررا شرعيا لنظام قائم تكون فيه السلطة الفعلية للأمير المتغلب والنظرية للخليفة، وأصبحت كتب السياسة تعالج ضمن نصائح الملوك، أو مرايا الأمراء وأخلاقهم، والسلوانات في الظروف التي يسقط فيها الملك ويذهب السؤدد، ونادرًا ما تقعد الكتب الخاصة بالنكير على الظلمة، أو تحقيق مبدأ الخروج على المستبدين، وهو موضوع تشق من أجله المهج، أما الذين كتبوا في هذا الميدان منهم الثعالبي في " نصيحة الملوك" والغزالي في "الذهب المسبوك في نصيحة الملوك" والشيرازي في "المنهج المسلوك في سياسة الملوك" والطرطوشي في "سراج الملوك"وابن طباطبا في "الفخري في الأداب السلطانية" وابن الأزرق وابن رضوان المالقي [75].

إن عنوان هذا الكتاب يدل على هدفه الإصلاحي ، فكلمة سراج يقصد بها التنوير و إضاءة الطريق الصحيح أمام الملوك ، وبصلاح السلاطين تصلح الرعية و يصلح المجتمع ، و هذا الكتاب من تحقيق الأستاذ محمد فتحي أبو بكر، و قدمه الدكتور شوقي ضيف عن الدار المصرية اللبنانية بالقاهرة سنة1994م[76].

و ذكر الطرطوشي في مقدمته أن مضمون هذا الكتاب عصمة لمن عمل به من الملوك و أهل الرئاسة و جنة لمن تحصن به، من أولي الأمر و السياسة ، وجمال لمن تحلى به من أهل الأدب و المحاضرة ، و عنوان لمن فاوض به من أهل المجالسة و المذاكرة "[77].

و قد جعل الطرطوشي كتابه هذا في جزأين يتألفان من أربعة و ستين بابا ، نكر منها [78]:

الباب الأول : في مواعظ الملوك

الباب الثاني : في مقامات العلماء و الصالحين عن الأمراء و السلاطين.

الباب الخامس ، في فضل أولاة و القضاة إذا عدلوا.

الباب السادس:في أن السلطان مع رعيته مغبون غير غابن و خاسر غير رابح.

الباب الحادي عشر : في معرفة الخصال التي هي قواعد السلطان و لا ثبات له دونها.

الباب الرابع عشر: في الخصال المحمودة في السلطان.

الباب الحادي و العشرون: في حاجة السلطان إلى العلم.

الباب السابع و العشرون : في المشاورة و النصيحة.

الباب التاسع و الثلاثون : في مثل السلطان العادل و الجائر.

الباب السادس و الخمسون : في الظلم و شؤمه و سوء عواقبه.

الباب الستون : في الشجاعة و ثمراتها.

الباب الحادي و الستون : في الحروب و تدبيرها.

هذه عناوين بعض الأبواب التي مثل حرص الطرطوشي على إصلاح السلطان و صلاح الدولة و قوانينها ، و نلاحظ انه جعل باب الحروب و تدبيرها في آخر الكتاب و كأنه يرى إن قيام الدولة على أسس ثابتة محمودة يضمن لها الحفاظ على أراضيها و يحقق لها النصر على أعاديها[79].

يتناول الطرطوشي في كتابه الكثير من الموضوعات ما يعتقد أنه متفق مع العنوان الذي اختاره له ، وهو محاولة نصح الملوك و إرشادهم و توجيههم[80].

كما جمع في هذا الكتاب قد جمع محاسن سياسات ست أمم هي: "العرب، والفرس، والروم، والهند، والسند، والسند هند"[81].وقد ألَّف الطرطوشي هذا الكتاب للوزير الجديد في مصر "المأمون البطائحي[82] ، وكان الغرض إظهار الحق، واتباع ما أملاه الشرع، وضرورة احترام مذاهب السنة، خاصة أن المأمون كان وزيرًا للدولة العبيدية الشيعية في مصر[83].

وهو يلخص لنا محتويات كتابه في مقدماته ، بأنه جمع ما تنطوي عليه سير الأمم السابقة ، و بالأخص ملوك الطوائف وحكام الدول ، و انه عمد في ذلك إلى استعراض ما ألقاه في كتبهم من الحكم البالغة و السير المستحسنة ، هذا إلى ما رواه و جمعه في سير الأنبياء و مآثر الأولياء ، وبراعة العلماء و حكمة الحكماء و نوادر الخلفاء ، وما انطوى عليه القرآن العزيز[84].

فيفتتح الكلام عن الخصال التي يقوم عليها الملك ، و تلك التي تؤدي إلى هدمه ، و عن الخصال المحمودة في السلطان و التي تمكن له ملكه ، وتسغ الكلام عليه ، ثم تلك التي توجب ذمه ، و ما يجب على الرعية اذا جنح السلطان إلى الجور ، و عن صحبة السلطان و سيرته كعدد الجند ، وفي اقتضاء الجباية و إنفاق الأموال[85].

أما تلك الخصال المحمودة في السلطان ، فهي العدل و الواضع و الحزم ، و الحذر و الحلم و لين القول ، و يقترن بذلك الحديث عن خير السلطان و شره ، و يحدثنا الطرطوشي خلال ذلك عن العقل و الدهاء و المكر و الصفات البشرية ، من الحلم و الجود ، و الشح و البخل ، والصبر و كتمان السر ، و الشكر ، ثم يحدثنا عن الظلم و سوء عواقبه ، وعن السعاية و قبحها، و عن القصاص و حكمه ، و يقرن ذلك بأخبار ملوك العجم و بعض الحكم المأثورة[86].

وتكلم الطرطوشي عن معرفة الخصال التي بها يحفظ نظام الملك والدول فقال:" وهي ثلاثة:اللين، وترك الفظاظة، والمشاورة،...وأن هذه الخصال من أساس الملك، وقل من يعمل بها من الملوك، اثنتان نزلتا من السماء، وواحدة قالها الرسول ...، أما الإلهية فقال الله تعالى: ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ (159)﴾[87] .

وفي الآية إشارتان، إحداهما أن الفظاظة تنفر الأصحاب والجلساء[88] تفرق الجموع والحشم،وإنما الملك ملك بجلسائه وأصحابه وحشمه وأتباعه .قال ابن المقفع في رسالة الصحابة عن الجلساء والصحابة وهم قمة الهرم السياسي والإداري في الدولة الإسلامية في عصره وهو الخليفة وصحابته وبجرأة المصلح الواعي برسالته، كما رأى أبوبكر الطرطوشي، يتعجب ابن المقفع فيقول على لسان الضمير الجمعي:"ما رأينا أعجوبة قط أعجب من هذه الصحابة ممن لا ين تهي إلى أدب ذي نباهة وحسب معروف...مشهور بالفجور في أهل عصره...فانتهى إلى حين أحب فصار يؤذن له على الخليفة قبل كثير من المهاجرين والأنصار...ويجرى عليه الرزق ضعف ما يجرى على كثير من بني هاشم" .فمن رأي ابن المقفع الذي يستشهد به الطرطوشي ويتحدث عن السلطة السياسية العليا فيعصره فيقول: أن بطانة الخليفة زينته وبهاؤه عند عامته وخاصته ولا تصلح الرعية إلا بهم ولا تستقر الدولة إلا بهم وعلى أيديهم، والرأي عند ابن المقفع أن يكون لهؤلاء-مع الصلاح ورجاحة العقل والدين- عمل لا يتعداه إلى سواه فعمل الكاتب غير عمل الحاجب، وتلك فوضى ليست من مصلحة دولة فتية محاطة بالأعداء[89] .

ثم يحدثنا عن الوزراء و صفاتهم و آدابهم ، وعن المشاورة و النصيحة و كونهما يعتبران من أسس الملك ، و قواعد السلطة ، ويقرن ذلك بإيراد

الحكم و الأخبار من أقوال اسكندر، اذشير ، و انوشروان، و يستأنف الحديث عن خصال السلطان و سيرته مع الجند ، و تصرفاته نحو الأموال و الجباية و الإقطاع ، و عن سياسته نحو العمال ، ثم يحدثنا عن سياسة الخلفاء نحو الذميين و أحكام أهل الذمة ، و عن الحرية و أحكامها ، وعن القضاة و العمال ، و عن الحروب و تدبيرها ، ويختم بالتحدث عن أخبار ملوك العجم و حكاياتهم و حكم حكامهم[90].

ولكن الواقع أن هذا الموضوع قد عالجه قبل الطرطوشي أكثر من مفكر مسلم ، و يكفي أن نذكر هنا أن ابن قتيبة الدينوري ت 236هـ قد عالجه في كتابه عيون الأخبار ، و عالجه إخوان الصفا في أواسط القرن 4هـ ، ثم عالجه أبو الحسن الماوردي ت 450هـ في كتابه الأحكام السلطانية ، و لكن الطرطوشي يمتاز على أسلافه بالتوسع و الإفاضة ، وبأنه طرق بعض الأبواب لم تطرق من قبل[91].

إن الطرطوشي يذهب في بحوثه إلى آفاق جديدة ، لم تخطر لأسلافه الذين عالجوا قبله موضوع السياسة الملكية ، فهو يحاول في بعض نظراته أن يستقريء أحداث عصره و خواصه ، و أن يستخرج منها بعض المبادئ الاجتماعية على نحو ما فعل ابن خلدون فيما بعد ، حيث جعل من المجتمع كله و من تاريخه مادة لتأملاته ، و يصارحنا ابن خلدون نفسه في مقدمته بأن الطرطوشي كاد أن يطرق نفس موضوعه[92].

وقد تأثر الطرطوشي في عرض نظرياته بالأخص ، بما شاهده في وطنه – الأندلس – من أحداث و تطورات غير عادية ، فهو قد عاصر أيام الطوائف بالأندلس ، و قضى شطرا من شبابه في مملكة سرقسطة (إحدى ملوك الطوائف) ، وشهد عن كثب أساليب ملوك الطوائف في تدعيم سلطانهم و حشد جيوشهم ، وإنفاق أموالهم [93].

و تقف معظم نظرياته النقدية و الاجتماعية عند أحداث وطنه الأندلس أو بعبارة أخرى عند أحداث ملوك الطوائف التي عاصرها في أواخر عهدها ، و التي كانت مملكة سرقسطة وطنه الأصلي ، نموذجا بارزا من نماذجها [94].

وقد أوحت ظروف سرقسطة البيضاء وأحوالها السياسية والاجتماعية يومئذ إلى الطرطوشي بكثير من نظرياته الاجتماعية، ومنها نظرية عصبية الدولة، فإن الطرطوشي يرى أن عصبية الدولة أو قوتها الحامية، إنما تقوم على الجند أهل العطاء المفروض مع الهلة، أي المرتزقة الذين يتناولون أجورهم كل شهر[95] ، وهذه النظرية يعارضها ابن خلدون في مقدمته حيث يقول: إن مرحلة الاستعانة بالمرتزقة تأتي بعد مرحلة الترف والاستبداد بالملك واصطناع المرتزقة،قال ابن خلدون:"وقد ظن الطرطوشي أن حامية الدول بإطلاق هم الجند أهل العطاء المفروض مع الأهلة، ذكر ذلك في كتابه الذي سمَّاه(سراج الملوك)، وكلامه لا يتناول تأسيس الدول العامة في أولها، وإنما هو مخصوص بالدول الأخيرة بعد التمهيد واستقرار الملك في النصاب واستحكام العصبية لأهله.

فالرجل إنما أدرك الدولة عند هرمها وخلق جدتها ورجوعها إلى الاستظهار بالموالي والصنائع ، ثم إلى المستخدمين من ورائهم بالأجر على المدافعة، فإنه إنما أدرك دول الطوائف، عند اختلال دولة بني أمية، وانقراض عصبيتها من العرب...فأطلق الطرطوشي القول في ذلك، ولم يتفطن لكيفية الأمر منذ أول الدولة وأنه لا يتم إلا لأهل العصبية [96].

تبدو أفكار الطرطوشي في كتابه "سراج الملوك" جلية، فقد اعترف ابن خلدون في مقدمته بأن الطرطوشي من المفكرين الذين سبقوه بالتأليف في علم الاجتماع أو العمران، وقد أحسن في تقسيم كتابه، وتحديد موضوعاته ولكنه لم يحسن علاج هذه الموضوعات، وهو على قوله"حوم على الغرض ولم يصادفه ولا تحقق قصده ولا استوفى مسائله"[97].

د- رؤى إصلاحية أخرى لأبي الطرطوشي :

للطرطوشي آراء أخرى ظهرت في كتابة سراج الملوك منها:

1-الأخلاق و السياسية عند أبي بكر الطرطوشي [98]: الطرطوشي من المفكرين الذين لا يفرقون بين الأخلاق والسياسة وهو شبيه بالفلاسفة المسلمين،لأنه كبقية علماء الإسلام، وهذا عكس مفكري أوروبا "كهوبز، ولوك، وروسو، وهيغل،وماركس" الذين يفرقون بين الأخلاق والسياسة،ويدعو الطرطوشي إلى التقشف والتزود بالعلم، لأن السلطان العادل يعم خيره كما يعم شره[99].

وكنا قد أشرنا في أكثر من مكان أن الطرطوشي كان حلقة متينة للحفاظ على المالكية والدفاع عن شرعية قيام دولة سنية تحاصر المد الإسماعيلي بمصر والمشرق، وهي المهمة التي قام بها بعده آل زنكي ثم من بعدهم صلاح الدين الأيوبي، وكان الطرطوشي كما يحدثنا تلميذه والمتصرف في حوائجه والملازم لخدمته أبو عبد الله التُّجيبي أن الشيخ كان صاحب نُزْهة، يخرج مع ومذاكرة ومداعبة، وأنَّهم كانوا في إحدى المرات ثلاثمائة وستين رجلاً، وقد ظهر للباحث أحمد باكير[100] أن الشيخ كان بجانب وعظ طلابه وحثهم على طلب العلم يحملهم على مقاومة العبيديين[101]،وهذا لا يستغرب البتة إذ ذكرنا أنه كان ينسب مناكر إلى العبيديين،وأنه كان يعتبر نفسه داعيا إلى هداية قوم ضُلاَّل وأصحاب بدع[102].

لقد مثَّل الطرطوشي في سراج الملوك مجموعة من القواعد التي تبنى على أساسها السياسة الشرعية، ولا نشارك كثيرًا ممن عالج الكتاب أن السراج نص تراثي يقوم على تدعيم الاستبداد السلطاني الذي خاضته مختلف نصوص مرايا الأمراء ونصائح الملوك، والرجل مبدع، لأن كتابه ليس مجرد جمع وتبويب ومواعظ، بل هو تأسيس وإبداع لبناء سلطة سياسية تقوم على التدبير السياسي القائم على العدل والإحسان الذي يمثل"أحسن السياسات" والقائم على التدبير المالي والحربي القائم على بنية التاريخ الإسلامي من عصر النبوة والخلفاء الراشدين[103] وبذلك يؤسس الطرطوشي بعده الخاص للعلماء ليتساءلوا دومًا عن وظيفة"رجل السياسة"الأمير" وعن ضرورة وجود منطق للعمل ومقاصد للسلوك وضوابط للتشريع والأمر، وهذا في حد ذاته، شيء له دلالته البالغة في ضوء أحداث الخلافة الفاطمية في عصره، وتصرفات رجل السلطة فيها، وفلسفة الحكم السائدة بين رجالها وكتاب دواوينها[104] .

2-نظام الجند وأثره على وجود الدولة[105] :وفي هذا يقول الطرطوشي المعاصر للحقبة مدار الدراسة: "ما زال أهل الأندلس ظاهرين على عدوهم، وأمر العدو في ضعف وانتقاص، لما كانت الأرض مقطعة في أيدي الأجناد، فكانوا يستغلونها، ويرفقون بالفلاحين ويربونهم كما يُربي التاجر تجارته.وكانت الأرض عامرة، والأموال وافرة، والأجناد متوافرين، والكراع والسلاح فوق ما يحتاج إليه، إلى أن كان الأمر في آخر أيام ابن أبي عامر، فرد عطايا الجند مشاهرة بقبض الجبايات المرتفعة إلى السلطان، وضعفت الأجناد، وقوي العدو على بلاد المسلمين حتى أخذ الكثير منها، ولم يزل أمر المسلمين في نقص وأمر العدو في ظهور إلى أن دخلها الملثمون فردوا الاقطاعات كما كانت في الزمان القديم"[106] .

وهذا معناه أن النظام المالي والتجاري والزراعي الأندلسي في أمس الحاجة إلى إعادة نظر في الفرضيات التي تقول: إنَّ انهيار الدولة المرابطية مرده إلى نظامها الإقطاعي العسكري[107].

لقد حاز التجار على أموال كبيرة من الشركات وملكية العقارات، كما حاز اليهود في هذا العصر على أموال طائلة باحتكارهم للتجارة الدولية.وأما ملكية الأرض معرض حديثنا في هذا العنصر فقد أسفرت نوازل العصر عن التفاوت الطبقي في مجتمع المرابطين بالأندلس خاصة في الحواضر الكبرى،حيث لا يختلف الريف الأندلسي عن ريف العدوة في أنه منطقة منسية.ولهذا فإن فك الحصار على الطبقات المعدمة دون النظر إلى تاريخ الأندلس من خلال التصنيف الاجتماعي الذي لا تحدده سوى البنية الاقتصادية نفسها، وليس من منظور عصبي طائفي كما ذهب إلى ذلك العديد من الدارسين من خلال الصراع بين العرب والمولدين والبربر واليهود والمستعربين، وبناء على النمط الاجتماعي السائد في عصر المرابطين، الذي يحدده بعض الدارسين بطبقات ثلاثة، الطبقة الأرستقراطية مالكة البلاد والأرض وتضم أمراء البيت اللمتوني وجهاز فقهاء السلطان، والشريحة العسكرية الظاهرة من قادة الجند النظامي، والعائلات الوجيهة والعالمة والتي ورثت الخطط الإدارية والقضائية، ثم طبقة البورجوازية الأندلسية من التجار والسماسرة وأصحاب الشركات، وهم التجار وأصحاب الكتابة واليهود والمستعربون وأعوان الدولة وأصحاب المهن الحرة كالأطباء دون إغفال الشعراء وأهل الحكمة من المرموقين الذين وصلوا إلى السلطة[108].

ودلالة "السياسة العامة" عند الطرطوشي هو "إقامة الميزان بالقسط الذي شرعه الله تعالى لعباده ، وركوب سبيل العدل والحق الذي قامت به السموات والأرض، وإظهار شرائع الدين، ونصر المظلوم والأخذ على يد الظالم وكف يد القوي عن الضعيف ، ومراعاة الفقراء والمساكين وملاحظة ذوي الخصاصة والمستضعفين.... وليعلموا بأنهم قد أخلوا بشيء من الشرائط الأربع في النصر" الإلهي لهم، وعليهم أن "يلجأوا إلى الله تعالى ويستجنوا من سوء أقداره بإصلاح ما بينهم وبينه سبحانه.."حتى تستقيم السياسة العامة ويصلح أمرها"[109] .

و أن في وجود السلطان في الأرض هي حكمة الله تعالى عظيمة، وإرادة اقتضاها الحق جل وعلا في عباده، لذلك فالطرطوشي يصفها بالنعمة العظيمة، والنعمة الجزيلة لإقامة الدين، وحفظ النزاعات بين البشر وصيانة القيم، والمواثيق والعقود الاجتماعية.. وقد علل إقامة السلطان في الأرض بأن الله جبل الخلق على حب الانتصاف، وعدم الإنصاف، ومثلهم بلا سلطان، مثل الحوت في الماء يبتلع الكبير الصغير، فمتى لم يكن لهم سلطان قاهر، لم ينتظم لهم أمر، ولم يستقر لهم معاش، ولم يتهنوا بالحياة"[110] .

3-الطاعة السياسية طاعة مطلقة[111]: إذا كانت الطاعة- والولاء أبرز مظهر من مظاهرها- أهم واجبات الرعية نحو حاكمها، فإن هذه الطاعة في "سراج الملوك" ترتفع إلى مستوى الفرض أو الواجب؛ فـ"طاعة السلطان فرض على الرعية، طاعة السلطان مقرونة بطاعة الله تعالى" تجعل منها "ملاك الدنيا وقيام السنة وحبل الله المتين وجنته الواقية وكنانته العالية". وحيث إن هذه الطاعة التي قد أنيط بها هذا المفهوم، فلن تكون في جوهرها إلا مطلقة غير مقيدة بشرط ولا استثناء، إذ "من إجلال الله، إجلال السلطان، عادلا كان أو جائرا، الطاعة تؤلف شمل الدين وتنظم أمر المسلمين"[112]. وهذا الإقرار اللامشروط بوجوب الطاعة على المحكومين، يعني من جهة أخرى سلب حق الرعية في ممارسة حقها الطبيعي في الاعتراض، فليس لها "أن تعترض على الأئمة في تدبيرها، وإن سولت لها أنفسها، بل عليها الانقياد وعلى الأئمة الاجتهاد"[113].فالنصيحة التي يقدمها الطرطوشي تتمثل في

ضرورة الخضوع لعمل السلطان بعد أن قدم له ملتمسا تبريرا ، أي أن (طاعة السلطان من طاعة الله).

"فالطاعة تؤلف شمل الدين ، و تنظم أمور المسلمين، وعصيان الأمة يهدم أركان الملة ، أولى بطاعة السلطان و مناصحته أهل الدين ، و النعم و المروءات ، إذ لا يقوم الدين إلا بالسلطان"[114].

4-السلطان ضرورة وجودية:يقول أبو بكر الطرطوشي[115] :"إذا اختل أمر السلطان دخل الفساد على الجميع ،و لو جعل ظلم السلطان حولا في كفه... لا يتمنى زوال السلطان إلا جاهل مغرور ، أو فاسق محذور ، فحقيق على كل رعية أن ترغب إلى الله تعالى في إصلاح السلطان وان تبذل له نصحه ، وتخصه بصالح دعائها" [116].

فالحاكم هو رأس الهرم التدبيري لأن "الملك بمنزلة رجل؛ فرأسه أنت، وقلبه وزيرك، ورجلاه رعيتك ويداه أعوانك وروحه عدلك، وما بقي جسد بلا روح"[117].

ومن الحكم في إقامة السلطان أنه حجج الله على وجوده سبحانه ومن علاماته على توحيده؛ لأنه كما لا يمكن استقامة أمر العالم واعتداله بغير مدبر ينفرد بتدبيره، كذلك لا يتوهم وجوده وترتيبه وما فيه من الحكمة ودقائق الصنعة بغير خالق خلقه وعالم أتقنه وحكيم دبره. وكما لا يستقيم سلطانان في بلد واحد لا يستقيم إلهان للعالم"؛ فـ"العالم بأسره في سلطان الله كالبلد في يد سلطان الأرض"[118] .

تبدو أفكار الطرطوشي في كتابه "سراج الملوك"جلية، وهذا ما أدى لاعتراف ابن خلدون في مقدمته بأن الطرطوشي من المفكرين الذين سبقوه بالتأليف في علم الاجتماع أو العمران، وقد أحسن في تقسيم كتابه، وتحديد موضوعاته ولكنه لم يحسن علاج هذه الموضوعات، وهو على قوله"حوم على الغرض ولم يصادفه ولا تحقق قصده ولا استوفى مسائله"[119] .

فلا بد إذن، من الانتباه إلى دلالة المشروع السياسي الذي كان يبتغيه الطرطوشي عند تأليفه لكتابه "سراج الملوك"، وإلى الأهداف التي كان يرمي إصابتها بذلك المشروع، وإن كان هذا العمل لا يتأتى لنا إلا بمحاولة ربط هذا الإنتاج النظري بمجموعة من العناصر الفاعلة، وبالأخص الوجود المجتمعي الذي ساهم في بلورته، والفضاء الفكري الذي كان المفكر المالكي يتقلب فيه.

إن إقامة السلطان أو الوازع السياسي في الأرض، في فلسفة الطرطوشي السياسية، يعد ضرورة من ضرورات قيام المجتمع البشري. ومضمون هذه الرؤية عنده تقوم على أساس تلك الحاجات البشرية الاضطرارية إلى الاجتماع وإلى وازع سياسي يسوسهم ويدير شؤونهم وفق السنن الكونية، وبمقتضى التشريع الإلهي، باعتبار هذا الأخير خطابا تعبديا يلزم إقامة وازع سياسي تنتظم به شعائر الدين ومقومات الحياة وتجمع العباد. ضمن هذه الرؤية رغب الطرطوشي في إقامة السلطان والدعاء له بالصلاح وبذل النصح له وطاعة أمره، لأن: في صلاحه صلاح العباد والبلاد، وفي فساده فساد العباد والبلاد.. ولا يتمنى زوال السلطان إلا جاهل مغرور"[120].

و أكثر الطرطوشي من إيراد الأخبار التاريخية و الحكايات و الشعر و غيرها ليدعم آرائه و أفكاره في الإصلاح السياسي ، ففي الباب العشرين الذي عنوان في معرفة خصال التي هي أركان السلطان يسوق الطرطوشي الحكاية التالية :" قال أبو جعفر المنصور : ما كان أحوجني أن يكون على بابي أربعة ، لا يكون على بابي اعف منهم ، قيل من هم : يا أمير المؤمنين ؟ قال : هم أركان الملك و لا يصلح إلا بهم ، كما أن السرير لا يصلح إلا بأربعة قوائم ، فان نقص منه قائمة واحدة عابه ، أحدهم: قاض لا تأخذه في الله لومة لائم ، و الآخر صاحب شرطة ينصف الضعيف من القوي، و الثالث : صاحب خراج يستقضي و لا يظلم الرعية ، فاني غني عن ظلمهم ، ثم عض على أصبعه السبابة ثلاث مرات يقول في كل مرة: آه. قيل : من هو يا أمير المؤمنين؟ قال : صاحب بريد يكتب بخبر هؤلاء على الصحة[121] .

إن المطالع لهذا الكتاب يلاحظ أن الطرطوشي قد حاول توظيف كثير من أخبار التاريخ عند الأمم المختلفة لتقديم نموذج للدولة القوية القائمة على العدل و الإنصاف و العلم و الدين ، و ذلك من اجل إصلاح المجتمع في عصره ، و إنارة الطريق الصحيح له[122].

خاتمة: يمكن إجمال نتائج هذا البحث في النقاط الآتية:

-قد حاولت دولة المرابطين من خلال تجربتها الإصلاحية تنزيل الإسلام على واقع المجتمع، واستوعبت مشاكل المجتمع الاجتماعية والاقتصادية، وساهمت في تفعيل الحياة العلمية بترميم ما هدم من مواطن العبادة وسد الثغور بالقيام بفرض الجهاد والحراسة، وتنعم المجتمع في ظلهم بالأمن والرخاء، وشجعوا العلماء في كل فن، وأقاموا وحدة سياسية تحت راية الإسلام عقيدة على الطريقة السلفية، وشريعة على المذهب المالكي، إلا أن الفساد الذي انتشر مع الجيل الثاني الذي أفسدته حضارة الترف بالأندلس قد أدى إلى انتشار المناكر(الزنا، شرب الخمر، وغيرها من الكبائر) فتعرضت الدولة إلى سنن قيام وسقوط الدول كما عبر عنها القرآن الكريم، ومهما كانت مزالق التجربة السياسية والعلمية في عهد المرابطين بالأندلس فقد سدت ثغرًا، وحمت حرمات، وتركت بلدًا عامرًا بالعلوم في شتى

الاختصاصات ، قال الله تعالى : ﴿ إِنْ يَمْسَسْكُمْ قَرْحٌ فَقَدْ مَسَّ الْقَوْمَ قَرْحٌ مِثْلُهُ وَتِلْكَ الْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَيَتَّخِذَ مِنْكُمْ شُهَدَاءَ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ (140)﴾[123] .

-لقد كان قيام دولة المرابطين بالأساس نتيجة تنظيم وتفكير العلماء الذين أرادوا لها أن تقوم على التمسك بالإسلام شريعة ومنهاجًا، وهو ما قام به أبو عمران الفاسي،وجاج بن زللو اللمطي، أبو بكر الطرطوشي، وأخيرًا عبد الله بن ياسين الجزولي الفقيه المالكي السُّني حامل مشعل المرابطين المتقد[124].

-كما سجلنا تطور الفكر السياسي في هذا العصر، وبيّنا أن الآثار التي وصلتنا من أعمال الطرطوشي، والإمام الحضرمي القيرواني غايتها تربية أمراء المجتمع والدولة الجديدة لبناء دولة الشريعة، والابتعاد عن الرذائل والأسافل، ولم تكن آثار مفكري هذا العصر تدعو إلى تثبيت استبداد الملوك والسلاطين كما ذهب إلى ذلك بعض الباحثين الذين أرخوا لآثار "مرايا الأمراء"و"نصائح الملوك"وكتب "السياسة الشرعية"، فقد أبرزنا قيام أمراء المرابطين(يوسف،علي، تاشفين) على ناموس الشريعة وابتعادهم عن مظاهر الترف، الذي تعرفه الممالك في عصرهم مما جعلهم أقرب إلى الزهاد منهم إلى السلاطين أصحاب الشوكة، ومن أعلام هذا العصر على رأسهم الطرطوشي و الذي يعتبر أفضل ما ألف عن هذا العصر في باب السياسة و المجتمع[125].

إن كتاب "سراج الملوك" لأبي بكر الطرطوشي لا يقل أهمية وقيمة عن المؤلفات السياسية التي اشتهرت في تاريخ الفكر السياسي الإسلامي والتي توثق لمرحلة تاريخية حاسمة من مراحل تطور ذلك الفكر، ولأنها من ناحية أخرى تعكس وجها أساسيا وواضحا من أوجهه، ثم إنها تقدم أنموذجا فريدا من النماذج التي تكشف عن العلاقة الجدلية القائمة بين الوجود المجتمعي السياسي للمفكر أو الفقيه وبين التنظير السياسي لذلك الوجود.

وإذا كان الهدف من وراء هذه الكتابات هو معرفة الصلة الوطيدة بين الفكر والوجود المجتمعي الذي أفرز ذلك الفكر، فإن المنهج التبريري والدفاعي الذي كتب به التاريخ الإسلامي، وعلى الأخص الجزء السياسي منه يظل، في الأغلب الأعم، عائقا حقيقيا يقف في وجه هذه المعرفة؛ إذ من الصعب الوقوف على المرامي البعيدة والدلالات المضمرة لمثل تلك الأدبيات دون استحضار للبعد التاريخي، وعلى وجه التحديد تاريخ المرحلة التي كانت تؤطر الوعي السياسي لرجل العلم، وتحدد سقف تفكيره وتنظيره.[126] .

-كما يتبين لنا مما تقدم إن كتاب سراج الملوك من الكتب التي يمكن اعتبارها مصدراً من مصادر نهج البلاغة بالرغم من أن الكتاب قد كتب بعد أكثر من مائة عام من تأليف نهج البلاغة . فقد تضمن الكتاب مجموعة كبيرة من كلمات أمير المؤمنين(عليه السلام)، التي ترتبط بالحكم والإدارة وأخلاق الحاكم وعلاقة الحاكم بالرعية، وفي نفس الوقت يعتبر هذا الكتاب مصدراً مهماً من مصادر الفكر السياسي،فقد اعتمده كمصدر كل من كتب في هذا المجال، ولا غرو أن يتخذه من أفذاذ الفكر السياسي والاجتماعي هما عبد الرحمن بن خلدون وابن الأزرق كمصدر لكتابهما (المقدمة) و بدائع السلك في طبائع الملك لابن الأرزق.

-إن كتاب "سراج الملوك" هو محاولة في فلسفة السياسة، يشتمل على مسائل السياسية الشرعية، وقضايا الحكم في الإسلام، وفلسفة الاجتماع البشري، وتحديد شرائط السياسة، ورسم هرم السلطة، وأركان الدولة، وسياسة الرئاسة، وعلاقة الراعي بالرعية، وعلاقة الدولة الإسلامية بغيرها من الأمم.ومحتوى الكتاب يؤكده الطرطوشي بنفسه، إذ يقول عن كتابه: "سراج الملوك والخلفاء ومنهاج الولاة والأمراء وتدبير الملك والدول، مقتضب من كتاب الله تعالى العزيز، وأخبار الأنبياء عليهم السلام، وسياسات ملوك العرب والعجم والروم والفرس والهند والسندهند ومستحسن أخلاقهم وأخبارهم ونوادر كتابهم وتواقيع رؤساهم"[127] .

هذا العمل يقوم في الأغلب الأعم على الجمع والرصد، وقلما يهتم بالتحليل والاستنتاج، ومن ثم فهو لا يرقى إلى مستوى صياغة نظرية سياسية متكاملة؛ متعلقة بمسألة السلطان والدولة السلطانية، وإنما فقط ترسم بعض ملامحها الأساسية والجوهرية كما أومأ إلى ذلك ابن خلدون في مقدمته. ومع ذلك، وإذا استثنينا الماوردي في كتابه "الأحكام السلطانية" وغيره من كتبه في السياسة الشرعية، يمكننا أن نعتبر الطرطوشي من الفقهاء السباقين إلى بحث وتبويب موضوعات القانون العام، وعلى وجه الخصوص القواعد الدستورية للسلطة والسلطان. ففي "سراج الملوك" قواعد ملزمة لتحديد السلطة وضبطها لكي تنهج تصرفاتها نهجا دستوريا مسؤولا، وأنه كلما ابتعدت الدولة والرعية عن التمسك به والالتزام بمقتضياته كانت النتيجة تضعضع الدولة وسقوطها واختلال موازينها.

هوامش الدراسة :

[1] شريفة محمد عبد الرحمن ، العلاقات السياسية بين الطائفتين الأندلسية والبربرية في جنوب الأندلس في عصر ملوك الطوائف (د.ط) ، مؤسسة شباب الجامعة ، مصر، 2006، ص87-88.

[2] احمد مختار العبادي ، في تاريخ المغرب والأندلس ، مؤسسة الثقافة الجامعية ، مصر ،ص 274.

[3] رجب محمد بخيت ، تاريخ الأندلس من الفتح حتى سقوط غرناطة ، ط1، مكتبة الإيمان ، القاهرة ، 2009 ، ص246.

[4] عبد الرحمان علي الحجي ، التاريخ الأندلسي من الفتح حتى سقوط غرناطة ، ط2، دار القلم ، بيروت،1981، ص 326.

[5] ابن الخطيب ، أعمال الأعلام ، فيمن بويع قبل الاحتلام من ملوك الإسلام، تحقيق ليفي بروفنسال ، بيروت ، 1956، ص144 رجب بخيت ، المرجع السابق ، ص246-247.

[6] نفس المرجع ، ص246.

[7] نفس المرجع ،ص247.

[8] محمد عبد الله عنان ، تراجم إسلامية مشرقية و أندلسية ، ط2، مكتبة الخانجي ، القاهرة ، 1970 ، ص289.

[9] حمد بن صالح السحيباني ، الضعف المعنوي و أثره في سقوط الأمم عصر ملوك الطوائف في الأندلس نموذجا ، دراسة تحليلية تاريخية ، ط1، مكتبة الملك عبد العزيز الرياض ، 2002، ص13.

[10] سامية جباري ، الأزمة الأخلاقية في المجتمع الأندلسي كما صورها الأدب (عصر الطوائف و المرابطين)، بحث مقدم لنيل درجة الدكتوراه ، اشراف د. حميدي خميسي ، كلية العلوم الإسلامية ، جامعة الجزائر ، 2006-2007 م ، ص22.

[11] عنان ، المرجع السابق ، ص289.

[12] نفس المرجع ، 289.

[13] نفس المرجع ، ص290.

[14] بلغيث ، الحياة الفكرية بالأندلس في عصر المرابطين ، دار المدار الإسلامي ، بيروت ، 2004م، ص428.الفيومي، تاريخ الفلسفة الإسلامية في المغرب والأندلس، ص299.

[15] جمال الدين الشيال، أبو بكر الطرطوشي العالم الزاهد الثائر، سلسلة أعلام العرب، دار الكتاب العربي للطباعة والنشر، القاهرة، 1968م،ص:19.ترجمة الطرطوشي في الديباج. انظر ابن فرحون، المصدر السابق،ص 250-252.انظر أيضًا ، الطرطوشي، رسالة في تحريم الجبن الرومي ، وكتاب تحريم الغناء والسّماع، تقديم وتحقيق عبد المجيد تركي، بيروت دار الغرب الإسلامي، 1997م، ص14. محمد الأمين بلغيث ، دولة المرابطين بالأندلس من مدينة السياسة إلى مدينة العلم ، ط1، دار الوعي ، الجزائر ، 2009م، ص215.

[16] أبو بكر محمد بن الوليد الطرطوشي، كتاب الحوادث والبدع، تحقيق الدكتور عبد المجيد تركي، بيروت،دار الغرب الإسلامي ، 1990م،ص:18 .202. *بلغيث ، دولة المرابطين ، ص215.*

Pierre Guichard, Les Musulmans de Valence et la reconquète(XI-XIIIe siècles)Institut Français de Damas Tome premier,Damas 1990.P:85 et suivantes

[17] بلغيث ، دولة المرابطين ، ص216.

[18] نفس المرجع ، ص 216.

[19] عنان ، المرجع السابق ، 290.

[20] نفس المرجع ، 291.

[21] نفس المرجع ، 291.

[22] نفس المرجع 291-292.

[23] نفس المرجع ، 292.

[24] نفس المرجع ، 297.

[25] أبو بكر الطرطوشي ، سراج الملوك ، تحقيق : محمد فتحي أبو بكر ،ط1، الدار المصرية اللبنانية ، القاهرة ، 1994م، ص31.

[26] جمال الدين الشيال ، المرجع السابق، ص75-78.

ابو بكر الطرطوشي ، المصدر السابق، ص31-36. الشيال ،

[27] المرجع السابق، ص77- 80

[28] كما يذكر الدكتور محمد الأمين بلغيث أنه حققه الأستاذ محمد الطالبي ، تونس سنة 1959م ، و أعاد تحقيقه الدكتور عبد المجيد تركي تحقيقًا علميًّا بعد النظر في الأخطاء التي وقعت في الطبعة التونسية الأولى،ونشره بدار الغرب الإسلامي عام 1990م.

[29] بلغيث ، الحياة الفكرية ، ص429.

[30] بلغيث ، الحياة الفكرية ، ص 429-430 .ابن بشكوال،كتاب الصلة، الجزء الثاني، ص:575.عن مؤلفات الطرطوشي والتعليق عليها راجع جمال الدين الشيال، أبو بكر الطرطوشي العالم الزاهد الثائر، ص ص:74-109. للتوسع في أخبار الطرطوشي راجع

وكانت وفاة الفقيه الزاهد بالإسكندرية عام (520هـ/1126م). الطرطوشي، كتاب الحوادث والبدع، ص:8 (مقدمة التحقيق).

[31] صلاح جرار ، أبو بكر الطرطوشي و جهوده في الإصلاح الاجتماعي ، آفاق الثقافة و التراث ، مركز جمعة الماجد للثقافة و التراث ، دبي، 1993،ع2، ص26.

[32] الشيال ، المرجع السابق، ص83.

[33] بلغيث ، الحياة الفكرية ، ص420.

[34] صلاح الجرار ، المرجع السابق، ص26.

[35] أبو بكر الطرطوشي ، الحوادث و البدع ، تحقيق: عبد المجيد تركي ، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1990، ص32-33.

[36] صلاح الجرار ، المرجع السابق، ص27.

[37] نفس المرجع ، ص27.

[38] نفس المرجع ، ص27.

[39] بلغيث ، الحياة الفكرية ، ص.431

[40] الجرار ، المرجع السابق، ص27.

[41] سورة آل عمران ، الآية 18.

[42] سراج الملوك ، الباب 11، ص216.

[43] صلاح الجرار ، المرجع السابق، ص27.

[44] نفس المرجع، ص27.

[45] مقدمة المحقق ، ص07.

[46] مقدمة المحقق، ص08.

[47] نفس المصدر ، ص09.

[48] نفس المصدر ، ص42-43.

[49] نفس المصدر، ص44-48.

[50] نفس المصدر ، ص30-34.

[51] تركي، المصدر السابق، ص494-495.

[52] بلغيث ، الحياة الفكرية ، ص429.

[53] نفس المرجع ، ص28.

[54] ابوبكر الطرطوشي ، الحوادث و البدع ، ص 78. صلاح الجرار ، المرجع السابق ، ص28.

[55] المصدر السابق ، 36، 79، 84، 86.

[56] سورة البقرة ، الآية 104.

[57] سورة البقرة ، الآية 58.

[58] سورة الأعراف ، الآية 162.

[59] سورة الأنعام ، الآية 153.

[60] الحوادث و البدع ، المصدر السابق، ص36، 91، 94.

[61] نفس المصدر ، ص36، 108.

[62] نفس المصدر، ص111،36.

[63] نفس المصدر ، ص111.

[64] نفس المصدر، 111-112.

[65] نفس المصدر ، ص114.

[66] الحوادث و البدع ، المصدر السابق، ص183-197

[67] نفس المصدر ، ص216-261.

[68] نفس المصدر ، ص263-264

[69] عن هذه البدع وغيرها . انظر : نفس المصدر ، ص284-339

[70] الجرار ، المرجع السابق ، ص28-29.

[71] نفس المرجع ، ص30.

[72] نفس المرجع ، ص30.

[73] نفس المرجع ، ص30.

[74] نفس المرجع ، ص30.

[75] بلغيث ، الحياة الفكرية ، ص423.

[76] صلاح الجرار ، المرجع السابق، 29.

[77] سراج الملوك ، ص10. الجرار ، المرجع السابق ، ص29.

[7878] صلاح الجرار ، المرجع السابق، ص29-30.

[79] نفس المرجع، ص30.

[80] عنان ، المرجع السابق ، 292

[81] الطرطوشي ، سراج الملوك ، الباب الثاني عشر ، ص229-231.

[82] صلاح الجرار ، المرجع السابق ، ص36

[83] نفس المرجع ، ص36-37.

[84] نفس المرجع ، ص293.

[85] نفس المرجع ،ص 293.

[86] نفس المرجع ، ص293.

[87] سورة آل عمران ،الآية 159.

[88] أبو بكر الطرطوشي، سراج الملوك، ص:92. بلغيث ، الحياة الفكرية ، ص430.

[89] بلغيث، النظرية السياسية عند المرادي، ص:22.

[90] عنان ، المرجع السابق ، 293.

[91] نفس المرجع ، 294.

[92] نفس المرجع ، 294.

[93] نفس المرجع ، 295.

[94] نفس المرجع ، 297.

[95] الطرطوشي، سراج الملوك، ص:229-231-ترجم الكتاب كما يقول أ.د محمد الامين بلغيث أنه في مرحلة متقدمة ترجم إلى اللغة الأسبانية:

Al-Turtusi.Abubequer de Tortosa.Làmpra de los principes,Trad.M.Alarcon.Madrid,1930.

[96] ابن خلدون، المقدمة، ص:274-275. بلغيث ، الحياة الفكرية ص429.

[97] جمال الدين الشيال، أبو بكر الطرطوشي العالم الزاهد الثائر،ص: 84. بلغيث ، دولة المرابطين ، ص216.

[98] نقلا عن : الشقوري، قراءة في كتاب سراج الملوك . نقلا : http://www.aljabriabed.net

[99] ابوبكر الطرطوشي ، سراج الملوك ، ص338.بلغيث ، الحياة الفكرية ، ص429.

[100] *بلغيث ، الحياة الفكرية* ، ص431.

[101] علي محمد محمد الصلابي، الدولة العبيدية في ليبيا، عمان الأردن،دار البيارق،1418هـ/1998م.ص47.

[102] بلغيث ، الحياة الفكرية ، ص431

[103] كمال عبد اللطيف، في تشريح أصول الاستبداد، ص:94.

[104] بلغيث ، الحياة الفكرية ، ص 431. عبد المجيد الصغير، الفكر الأصولي، ص:163.

[105] نقلا عن : الشقوري، المرجع السابق.

[106] بلغيث، المرجع السابق، ص545.

[107] نفس المرجع ، ص549.

[108] نفس المرجع ، ص549.

[109] الباب الثالث ، ص161.

[110] نفس المصدر من كتاب سراج الملوك ، الباب السابع ، ص198-199.

[111]نقلا عن : الشقوري، المرجع السابق.

الطرطوشي ، سراج الملوك ، الباب االخامس عشر ، ص244-245.[112]

[113] الشقوري، المرجع السابق .

[114] سراج الملوك ، المصدر السابق، الباب الخامس عشر ، ص244.

[115] نقلا عن : الشقوري، المرجع السابق.

[116] الطرطوشي ، سراج الملوك ،الباب السابع ، ص200.

[117] نفس المصدر ، الباب الحادي عشر ، ص214.

[118]الباب السابع ، ص199

[119] بلغيث ، دولة المرابطين ، ص216.

[120] الباب السابع ، ص200.

[121] سراج الملوك ، الباب العشرون ، ص260، 265.

[122] صلاح الجرار، المرجع السابق، ص30.

[123] بلغيث، الحياة الفكرية ، ص661. آل عمران ، الآية 140.

[124] نفس المرجع ، ص661.

[125] نفس المرجع، ص665.

[126] الشقوري، المرجع السابق.

[127] الباب الثاني عشر ، ص229-231.